

الحديث

لم يُكْتَبَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ

المهندس
عبد
الرفاعي

.. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ..

.. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ..

.. لا يمكننا أن ندرك حقيقة السنّة الشريفة دون إدراك سيرة حياة النبي ﷺ ، في تفاعله ما بين نصوص القرآن الكريم كنصّ مرسومٍ نازلٍ من السماء وما يحملُ من أحكامٍ من جهة ، وما بين تفاعله مع الأعراف الاجتماعية والخصوصيات التاريخية من جهةٍ أخرى .. وإدراكنا هذا لا بُدَّ أن يكون مستنداً إلى حقائق قرآنيّة أولاً ، نراها بعين التجرّد والبحث عن الحقيقة .. وبعد ذلك يكون بالنظر إلى حقائق تاريخيّة غير متناقضة فيما بينها ، وغير متناقضة مع القرآن الكريم ..

.. أمّا أن نضع أهواءنا وأهواء بعض السابقين نتيجةً نبحتُ لها عن مُقدّماتٍ من جزئيات التاريخ ، تلك الجزئيات التي تُؤوّلُ حسب الأهواء المُسبقة الصنع والغارقة في

العصبية المذهبية والطائفية ، فهذا يعني عدم معرفة الحقيقة ، ويعني طمسها عن أعيننا وعن أعين الآخرين ..

.. في كتاب الله تعالى نقرأ حقيقة جلية هي أن القرآن الكريم كتب بين يدي الرسول ﷺ ، وبأمر منه ، وأنه كان يعلم حروفه ، ويمليه برسمه التوقيفي على كتبة الوحي كما هو تماماً في اللوح المحفوظ .. فالآية الأولى التي نزلت من السماء : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] ، تؤكد أن ما كان يتلقاه ﷺ هو نص مكتوب يُطلب منه قراءته ، فدلالات كلمة ﴿ أَقْرَأْ ﴾ تختلف عن دلالات كلمة : (ائله) ، وكلا الكلمتين تردان في كتاب الله تعالى ، وبالتالي كلُّ منهما تحمل دلالة لها حدودها التي تميزها عن حدود دلالة الكلمة الأخرى ..

.. إنَّ القراءة تكون من نص مكتوب ، وليست مجرد تلاوة دون نص مكتوب .. يقول تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِنِّهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧١] .. ويقول تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أقرءوا كِتَابِيَةَ ﴾ [الحاقة : ١٩] .. إذا .. قراءة الكتاب هي تلاوة النصوص المسطرة فيه .. هكذا يدرك كل متدبر لكتاب الله تعالى ، بعيداً عن الموروثات التاريخية التي يصور بعضها نقيض ذلك ، فالعبرة القرآنية : ﴿ هَٰؤُلَاءِ أقرءوا كِتَابِيَةَ ﴾ تعني كتاباً مسطراً يُطلب قراءته من خلال تلك السطور .. والعبرة القرآنية : ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ ﴾ ، تعني يقرءون نصاً مكتوباً قد أُوتي في يمين كل منهم ..

.. إذا الرسول ﷺ كان يقرأ القرآن الكريم كنص مكتوب ، وإلا كيف بنا أن نفهم قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قرأت الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] .. وكيف بنا أن نفهم قول الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا

فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿ [الإسراء : ١٠٦] .. إتنا نرى في هذه الآياتِ الكريمةِ كلماتٍ من الجذر (ق ، ر ، أ) وليس من الجذر اللغوي : (ت ، ل ، و) ، فالقراءةُ هي تلاوةٌ من صحفٍ مرسومة ، بمعنى استقراء المعاني الكائنة بين سطور تلك الصحف المرسومة .. بينما التلاوة لا تُشترطُ بها الصحفُ المرسومة إلا إذا تعلقت بكتابٍ أو بصحيفة .. يقولُ تعالى : ﴿ أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فهنا خُصَّتْ التلاوةُ بأنها تلاوةٌ من كتاب ..

.. هذه الحقيقة نستطيعُ استنباطها - أيضاً - من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] .. فاكتمالُ وحي القرآن الكريم هو رسمُ حروفه إضافةً إلى تلاوة تلك الحروف المرسومة .. والله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ، يأمر رسوله ﷺ بأن لا ينطقَ بتلاوةِ الحروفِ المرسومةِ التي كان ينزل بها جبريل عليه السلام عليه ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ ، قبل أن يتمَّ وحيه بأن يتلوها له جبريلُ : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ ..

.. إذاً القرآن الكريم كان ينزلُ رسماً وقراءةً على النبي ﷺ ، والله تعالى تعهد بحفظه رسماً وقراءةً .. يقولُ تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٧] ، فالجمعُ : ﴿ جَمْعُهُ ﴾ يتعلّقُ بالقرآن الكريم كحروفٍ مرسومة ، وقراءتهُ : ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ تتعلّقُ بتلاوة تلك الحروف المرسومة ..

.. وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، يؤكدُ هذه الحقيقة .. فقبل نزول القرآن الكريم لم يكن ﷺ يتلوا أيَّ كتابٍ ولم يكن يخطُّ أيَّ كتابٍ بيمينه .. ولكن .. هل استمرَّ

هذا بعد نزول النصّ القرآني عليه .. بالتأكيد لا .. فالكلمتان ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ لم تُوضعا عبثاً في هذه الآية الكريمة ، ولا يُمكنُ أن تكونا حشواً لا فائدة منه .. فلو كان الأمر قبل نزول النصّ القرآني كبعده بالنسبة لهذه المسألة ، كما وردت هاتان الكلمتان ، أي لكانت الآية الكريمة على الشكل : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) ..

.. إذاً بعد نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ أصبحت المسألة مختلفة عما كانت عليه قبل نزوله ، ولذلك نرى كلمتي : ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ في قلب هذه الآية الكريمة .. والقرآن الكريم يذكر لنا أن النبي ﷺ بعد نزول النصّ القرآني عليه كان يتلوا آيات الله تعالى : ﴿ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [الطلاق : ١٠ - ١١] ..

.. ألم يقل الله تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴾ [البينة : ٢ - ٣] وهكذا نرى أنه بعد نزول النصّ القرآني أصبح ﷺ يقرأ القرآن كنصّ مكتوب ، ويتلو آياته ، ويأمرُ كتبة الوحي بأن يرسموا حروفه كما نزل بها جبريل عليه السلام من السماء ..

.. إذاً .. الآية الكريمة ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، تُبين لنا أن الرسول ﷺ أصبح بالنسبة لهذه المسألة عكس ما كان عليه قبل نزول النصّ القرآني ..

.. واحتجاج بعضهم بهذه الآية الكريمة على أن النبي ﷺ لم يكن يعلم تلاوة كتاب الله تعالى كحروف مرسومة بعد نزول النصّ القرآني ، هو جهلٌ بحقيقة صياغة هذه الآية الكريمة ، بحيث لا يستقيم تفسيرهم الخاطئ لها إلاّ بحذف الكلمتين : ﴿ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ .. واستشهادهم بهذه الآية الكريمة على عدم علم النبي ﷺ بحروف القرآن الكريم ، هو دليلٌ

واضح على أن الموروثات التفسيرية المؤطرة بأصنام التاريخ ، لم تكن في يومٍ من الأيام نتاجاً علمياً مُستنبطاً من كتاب الله تعالى ..

وفي روايات الأحاديث ذاتها ما يُثبت أن القرآن الكريم كُتب بين يدي الرسول ﷺ ، وبأمره وإشرافه ، حيث كان ﷺ يأمرُ كتبة الوحي بكتابته .. لننظر في الرواية التالية ..

البخاري (٤٦٠٦) :

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ بِاللُّوحِ وَالذَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالذَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ فَتَزَلَّتْ مَكَانَهَا لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرِ أُولِي الضَّرْرِ

.. أليست العبارة : [] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُ لِي زَيْدًا وَلِيَجِيءَ

بِاللُّوحِ وَالذَّوَاةِ وَالْكَتِفِ أَوْ الْكَتِفِ وَالذَّوَاةِ ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ لَنَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ [] ..

أليست دليلاً على أن القرآن الكريم كُتب بين يدي الرسول ﷺ بأمرٍ منه وبإشرافه ؟!!! .. فكيف - إذا - يزعم بعضهم أنه جُمع بعد وفاة النبي ﷺ من صدور الرجال ؟!!! ..

.. وبإمكاننا أن نُدرِك حقيقة علم الرسول ﷺ بالحروف المرسومة في كتاب الله تعالى

، من سبيل آخر هو رَسْمُ الكلمة في القرآن الكريم .. فَرَسْمُ الكلمة في القرآن الكريم سرٌّ يحمل من الحكمة ما لا يحيطُ به مخلوق ، وهو فوق كلِّ قواعد الإملاء التي وضعها البشر .. وكنا قد رأينا في المحطة الأولى كيف أن كلمة إبراهيم تُرسم في كتاب الله تعالى برسمين متمايزين ، ففي سورة البقرة تُرسم دون حرف ياء لتشير إلى اسمه عليه السلام قبل أن يُنجب ، أي إلى الفترة من عمره التابعة للمرحلة الأولى في تدرج الرسائل السماوية ، وفي باقي القرآن الكريم بعد سورة البقرة تُرسم بحرف ياء لتشير إلى اسمه بعد أن أُنجب ،

أي إلى الفترة من عمره التابعة للحلقة الأولى من المرحلة الثانية في تدرج الرسائل السماوية ..

.. وهنا نسأل من يُنكر كون رسم القرآن الكريم من عند الله تعالى ، ومن يُنكر علم الرسول ﷺ بالحروف المرسومة في كتاب الله تعالى ، وبأنها تمت بأمره وإشرافه ، وأنها رُسِمَت كما رآها ﷺ في اللوح المحفوظ .. من يُنكر كل ذلك .. نسأل السؤال التالي : من الذي أمر كتابة الوحي أن يرسموا كلمة إبراهيم في سورة البقرة دون حرف ياء ، وفي باقي القرآن الكريم بحرف ياء ؟!!! .. أليس الرسول ﷺ ؟ .. ألم نر أن هذا التمايز في الرسم هو لحكمة إلهية ، تتعلق تعلقاً تاماً بحكمة الله تعالى في تدرج الرسائل السماوية وصولاً إلى الرسالة الخاتمة ؟ ..

.. ولنأخذ مثلاً آخر .. لو نظرنا إلى كلمة ضعفاء في كتاب الله تعالى لرأيناها ترد أربع مرات ، وذلك برسمين متميزين .. ترد مرتين كما نكتبها في رسمنا الإملائي : ﴿ ضُعَفَاء ﴾ ، لتصور لنا ضعفاء الدنيا .. يقول تعالى :

﴿ أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٦٦]

.. ويقول تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٩١]

.. في هاتين الآيتين تُرسمُ كَلِمَةُ «ضُعَفَاءُ» كما هي في رسمنا الإملائي .. وهي كما نرى تصِفُ ضُعَفَاءَ الدنِيا ، وكلُّ إنسانٍ يتكلَّمُ العربيَّةَ يُدركُ أن هذين النصِّين يصفان ضُعَفَاءَ الدنِيا ..

.. ولكن .. لو نظرنا في الآيتين التاليتين لرأينا فيهما كلمة ضُعَفَاءُ تُرسمُ على الشكل «الضُعَفَتُوا» ، أي على واو مهموزة .. ولو نظرنا في هذين النصِّين لرأينا أنها تصِفُ ضُعَفَاءَ الآخرة ، لا ضُعَفَاءَ الدنِيا .. يقولُ تعالى ..

﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ هَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم : ٢١]

.. ويقولُ تعالى ..

﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَتُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَبَرُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ [غافر : ٤٧]

.. إذاً التمايزُ في رسمِ الكلمةِ القرآنيَّةِ ذاتها ما بين موضعٍ وآخر ، ليس عبثاً ، وليس مصادفةً إنّما هو لحكمةٍ إلهيَّةٍ مرادة تتعلَّقُ بالدلالاتِ المحمولة في تلك الكلمات .. وهنا نسألُ من يُنكرُ كَوْنُ رسمِ القرآنِ الكريمِ من عند الله تعالى ، نسألُه السُّؤالَ التالي : من الذي أمرَ كتبةَ الوحي أن يكتبوا كلمة ضُعَفَاءُ في هاتين الآيتين بهذين الرسمين المتمايزين ، أليس الرسول ﷺ !!!؟ .. وهل من الممكن أن نتصوّرَ أن ذلك مُصادفةً !!!؟ ..

.. والقضيَّةُ ذاتها نراها في رَسْمِ كلمة (دعاء) .. لقد وردتْ كلمة (دعاء) في كتابِ الله تعالى (١٤) مرّةً ، منها مرّةٌ واحدةٌ تُكْتَبُ فيها على واو مهموزة «دُعَتُوا» ، بما يختلف عن رسمنا الإملائي .. وهي كما نرى تُصوّرُ لنا دعاءَ الآخرة ..

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ مُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوا وَمَا دُعْتُمُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر : ٤٩ - ٥٠]

.. وفي كلِّ المواضع الأخرى تُرسم كما هي في رسمنا الإملائي (دعاء) ، لتصور لنا دعاء الدنيا .. وبإمكان أيِّ إنسان أن يعودَ إلى رسمِ كتابِ الله تعالى ليرى هذه الحقيقة .. وهنا نسأل من يُنكرُ كونَ رسمِ القرآنِ الكريمِ من عند الله تعالى ، نسأله السؤالَ التالي : من الذي أمرَ كتابةَ الوحي أن يكتبوا كلمة دعاء في هذه الآية الكريمة بهذا الرسم المتميز ، أليس الرسول ﷺ !!!؟ .. وهل من الممكن أن نتصورَ أن ذلك من المصادفة !!!؟ ..

.. والأمثلة في ذلك كثيرة ، فبعضُ الكلمات القرآنية تُرسمُ بشكلين مُتمايزين ، بحيث يصفُ كلُّ شكلٍ من هذين الشكلين دلالاتٍ لها خصوصيتها التي تُميزها عن الدلالات التي تصفها ذاتُ الكلمة بالشكل الآخر .. وقد بينتُ في كتبي الكثيرَ من الأمثلة التي تُثبت لمن يملك ذرَّةً من عقلٍ أو منطقٍ أن رسمَ القرآنِ الكريمِ توقيفيٌّ بأمرٍ من الله تعالى ، وأنه رُسم بين يدي الرسول ﷺ وبأمرٍ وتوجيهٍ مباشرٍ منه كما هو تماماً في اللوح المحفوظ ..

.. وكنا قد بينا في النظرية العددية المُستنبطة من كتابِ الله تعالى ، عبر أجدية قرآنية مُستنبطة من كتابِ الله تعالى ، كنا قد بينا أنه يستحيلُ تبديلُ حرفٍ قرآنيٍّ مرسومٍ بحرفٍ آخر ، فضلاً عن أنه يستحيلُ حذفه أو زيادته ، وذلك دون أن تختل الموازين المطلقة المتعلقة بالحرف المرسوم في كتابِ الله تعالى ..

.. وهذه الحقائق لا تتعارضُ أبداً مع مفهوم الأمية كما يصفها القرآنُ الكريم ، لا كما تُعرّفها موروثاتنا التاريخية .. ففي كتابِ الله تعالى وحينما نُجرّدُ المعنى عن سياقه القرآنيِّ المحيط ، فإنَّ الأميَّ في مسألة ما يُعرّفُ بأنه : من لم يقتبس من المجتمع المحيط أيَّ علمٍ أو ثقافةٍ في تلك المسألة ، ويبقى بعيداً عن تأثيرِ المجتمع المحيط فيما يخصُّ تلك المسألة ..

.. ففي مسألة العِلْمِ بالكتابِ السماوي ، يُعرَفُ الأُمِّيُّ بأنه من لم يقتبس هذا العلم ، أي هو من يُوضَعُ في مقابل من أوتي الكتابَ السماويَّ .. يقول تعالى ..

﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُمَ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ

تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٢٠]

.. فالأُمِّيُّونَ هنا هم من لم يُوتوا عِلْمَ الكتابِ السماوي .. وليس من المعقولِ في شيء أن تكونَ رسالةُ الله تعالى موجهةً للذين أُوتوا الكتابَ والذين لا يقرؤون ولا يكتبون دون باقي البشرية ، وهي ذاتها الرسالة التي أرادها الله تعالى للبشرية جمعاء .. إذاً .. كلمة ﴿ وَالْأُمِّيِّينَ ﴾ في هذه الآية الكريمة ، تعني من لم يُوتوا عِلْمَ الكتابِ السماوي ، ولا تعني - بأيِّ شكلٍ من الأشكال - الذي لا يقرؤون ولا يكتبون .. ولننظر في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨) فَوَيْلٌ

لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٨ - ٧٩]

.. فهؤلاء الذين يقول الله تعالى عنهم : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا

أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ لا يُمكنُ الجزمُ بأنه لا يُوجدُ بينهم من لا يستطيعُ الكتابة ،

ولا يُمكنُ الجزمُ بأنهم ليسوا من المعنيين بقوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ

بِأَيْدِيهِمْ ﴾ .. إذاً المعنيون بهذه الآية الكريمة وُصِفُوا بالأُمِّيِّينَ نتيجةَ عدمِ عِلْمِهِمُ الحقيقِي

بالكتابِ السماوي مع أنَّهم أنزلَ إليهم الكتابَ السماوي .. وبالتالي فمسألةُ الأُمِّيَّةِ - كما

نرى - مُجرّدةٌ عن مسألة القراءة والكتابة ..

.. والرسولُ ﷺ كان بفطرته نقياً ، ولم يتأثر بثقافة المجتمع المحيط فيما يتعلق بعبادة

الأصنام ، وبالتالي كان أُمِّيًّا .. وأيضاً كان أُمِّيًّا بالنسبة لمسألة القراءة والكتابة .. فلم يتعلّم

من المجتمع المحيط عِلْمَ القراءة والكتابة .. ولكن .. بعدما أتته الرسالة تعلّم لغة السماء وإملاء السماء ، بوحى من السماء بعيداً عن البشر وقواعد إملائهم .. وبالتالي بقي أمياً بما تحمل الكلمة من معنى ، لأنه ﷺ لم يقتبس هذه العلوم من المجتمع المحيط ..
.. فعندما نزل جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ حاملاً قول الله تعالى :

﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥]

.. حين ذلك تعلّم ﷺ لغة السماء بإلهام مباشرٍ من الله سبحانه وتعالى ، بعيداً عن قواعد لغة البشر وآليات تعلّمهم .. وبالتالي لم يفقد ﷺ أميته ..
.. والذين يحتجّون بأن أمية الرسول ﷺ هي بمعنى عدم عِلْمِهِ للقراءة والكتابة مدى حياته ، تُفيد عدم إعطاء مُبرّرٍ لاتهم النبي ﷺ بأنه كتَبَ القرآن الكريم دون وحي من السماء .. هؤلاء بكلامهم هذا يتهمون القرآن الكريم بأنه لا يحمل من الإعجاز إلا ما يتناسب مع السوية العلمية عند الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ، وكأن الذين يقرؤون ويكتبون يستطيعون الإتيان بمثله .. وهذا استخفافٌ بالعقول ، وتجييشٌ للعوام بهدف محاربة الحقائق الجليلة التي يحملها كتاب الله تعالى ..

.. إذاً .. القرآن الكريم كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ وبأمرٍ منه وبإشرافه وبالصورة

ذاها التي في اللوح المحفوظ ، وهذا ما نستشفه أيضاً من قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ

مَجِيدٌ ﴿ في لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ - ٢٢] .. ففي كتاب الله تعالى تُستخدم

كلمة لوح للكتابة كحروفٍ مسطّرة .. يقول تعالى في وصف سيرة موسى عليه السلام

مع قومه : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ

فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف :

١٤٥] .. ويقول تعالى في ذات السيرة : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ

الْأَلْوَابَ ۗ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ..

وهكذا نرى أن قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١ - ٢٢] ، يُؤكِّدُ أنَّ القرآنَ الكريمَ موجودٌ رسماً في لوحٍ محفوظٍ ، وبالتالي فرسمه جزءٌ من منظومته الإعجازية ..

إذاً .. كان الوحي يتلُّ على النبي ﷺ بالقرآن الكريم رسماً وقراءةً ، وكان النبي ﷺ يأمرُ كتبةَ الوحي بأن يكتبوه رسماً كما رآه ﷺ ، وكان يتلو حروفه كما سمعها من الوحي .. أما ما كان ينطقُ به ﷺ خارجَ النصِّ القرآني وما كان يفعله ويقرّه ، فلم يُكتبْ أبداً بين يديه ﷺ .. فالذي كان يُكتبُ هو النصُّ القرآني فقط .. وهذه الحقيقة واضحةٌ جليّةٌ في روايات الحديث التي بين أيدينا .. وهناك الكثير من الروايات التي تُؤكِّدُ هذه الحقيقة بشكلٍ لا لبس فيه ، نختارُ منها - على سبيل المثال لا الحصر - الروايات التالية ..

مسلم (٥٣٢٦) :

حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ

مسند أحمد (١٠٦٦٣) :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ أَخْبَرَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

أحمد (١٠٦٧٠) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكْتُابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ أَكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتُابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَّصُوهُ

قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ قُلْنَا أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ فَأَنْتُمْ لَمْ تَحَدَّثُوا عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ

الدارمي (٤٥١) :

أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَكْتُبُوا عَلَيَّ شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ فَمَنْ كَتَبَ عَلَيَّ شَيْئًا غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ

الدارمي (٤٥٢) :

أَخْبَرَنَا أَبُو مَعْمَرٍ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ حَدَّثَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنْ يَكْتُبُوا عَنْهُ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ

إذا .. كان أمر النبي ﷺ هو عدم كتابة أي شيء عنه سوى القرآن الكريم ، ولم يُرد ﷺ أن يكتب عنه سوى القرآن الكريم ، وأمر أن يحرق ما كتبه بعضهم مما سمعه من النبي ﷺ من غير القرآن الكريم .. فالروايات التي تؤكد هذه الحقيقة واضحة جلية في ذلك ..

.. وما يلبس على الحقيقة وما يُدر من رماذ في الأعين لكي لا تُبصر الحقيقة ، هو زعم بعضهم أن هذه الروايات التي تأمر بعدم كتابة الحديث عن الرسول ﷺ إنما كانت في بداية الدعوة كي لا يختلط الحديث بالقرآن الكريم ، وأن النبي ﷺ عاد فأباح الكتابة ، مستشهدين ببعض الروايات التي لا تحمل ما يذهبون إليه لا من قريب ولا من بعيد ، إلا بعد تأويلها تأويلاً يتناقض مع مجمل الروايات التي تؤكد أن الحديث لم يكتب أبداً بين يديه ﷺ .. لننظر في الروايتين التاليتين ..

البخاري (٢٢٥٤) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهَا لَأَتِحُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَأَتِحُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي فَلَا يُنْفِرُ صَيْدُهَا وَلَا يُحْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرِينَ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقْبَدَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلَّا الْإِذْحَرَ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّا الْإِذْحَرَ فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مسلم (٢٤١٤) :

حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ قَالَ زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّهَا لَأَتِحُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَإِنَّهَا لَأَتِحُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي فَلَا يُنْفِرُ صَيْدُهَا وَلَا يُحْتَلَى شَوْكُهَا وَلَا تَحِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرِينَ إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلَّا الْإِذْحَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّا الْإِذْحَرَ فَقَامَ أَبُو شَاهٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ قَالَ الْوَلِيدُ فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

.. إننا نرى بوضوح أن الاستشهاد بمثل هذه الروايات على أنه ﷺ أباح كتابة الحديث عنه ، هو استشهادٌ ليس بمكانه على الإطلاق .. فما أُبيحَ في هذه الروايات - إن صحّت - هو خصوصيةٌ لرجل في كتابة خطبةٍ خاصّة ، ما كانت لتُكتب لولا أن ذلك الرجل طلب هذه الكتابة ، كما نرى بوضوح من خلال هذه الروايات ..

.. الكتابة الواردة في هذه الرواية هي لأبي شاهٍ خاصّة ، وذلك بعد أن طلبَ هو ذلك ، وبعد أن أباحَ الرسول ﷺ أن يكتبوا له ، وهذا لا يعني أبداً أنه كان يكتب ما ينطقُ به النبي ﷺ .. فلو كانت الكتابة عن النبي ﷺ شائعة ، وأنّ هذه الخطبة ستكتب بطبيعة الحال دون أن يُبيحَ الرسول ﷺ كتابتها ، لو كان الأمر كذلك ، لما طلبَ أبو شاهٍ خصوصيةً في ذلك ، ولما قال الرسول ﷺ **[[اكتبوا لأبي شاهٍ]]** .. وبالتالي فهذه الرواية لا تُسَعَفُ - أبداً - ما يذهبون إليه من أن الحديث كُتبَ بين يديّ الرسول ﷺ .. بل على العكس .. هذه الرواية تُؤكِّدُ أنه حتّى خطبة الجمعة لم تكن تُكتب ، وهذا ما دفعَ أبا شاهٍ لأن يطلب من النبي ﷺ خصوصيةً خاصّة له هي كتابة خطبة تلك الجمعة ..

.. واستشهادهم بالرواية التالية على أنه ﷺ أباحَ كتابة الحديث عنه ، ليس سليماً ولا بأيّ شكلٍ من الأشكال ..

سنن الدارمي (٤٨٤) :

أَخْبَرَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَخْنَسِ قَالَ حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ مَاهَكَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَتَهْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشْرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْعُضْبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِإصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ وَقَالَ أَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ

.. هذه الرواية التي يستدلّون بها على إباحة كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ ، ليست صحيحةً على الإطلاق ، لأنّها تناقضُ مجمل الروايات الأخرى التي تُؤكِّدُ - بشكلٍ لا لبس فيه - أن النبي ﷺ نهى عن كتابة الحديث بين يديه ، وتناقضُ مجمل الروايات التي

تؤكد أنّ الحديث لم يُكتب أبداً بين يدي الرسول ﷺ ، وأنه خرج من الدنيا دون أن يُكتب الحديث عنه .. والأهم من كل ذلك أنّها تُناقض حقيقة السنّة الشريفة كونها متعلّقة بتفصيل كليات كتاب الله تعالى التي نزلت على مدار (٢٣) عاماً ، وليس دفعةً واحدة من السماء ..

.. لقد بينا كيف أنّه ليس كل ما نطق به الرسول ﷺ سنةً مفصّلةً لكليات كتاب الله تعالى ، فهناك ما نطق به وما فعله ﷺ كنيّ وليس كرسول .. وبالتالي فكتابة كل ما نطق به النبي ﷺ - كما يُزعم في هذه الرواية - هي فعلٌ يسيء إلى السنّة الشريفة ويخلطها بما لا يمت إليها بشيء ، فكم نطق ﷺ في مواقف لم يتزل النصّ القرآني المناسب لها لحظة ذلك النطق ، أي كم نطق بأمرٍ ليست من الشريعة ، وذلك بسبب عدم نزول النصّ القرآني المناسب لحظة ذلك النطق ..

.. كيف يستشهدون بمثل هذه الرواية التي تناقض مجمل الروايات التي تؤكد أنّه ﷺ أمرَ بعدم كتابة الحديث عنه وتؤكد أنّه حرق ما كتبه بعضهم .. ومع كل ذلك .. كيف يكون كل ما نطق به ﷺ من الله تعالى وسنّة يجب اتّباعها ، والله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ ﴾ [التوبة : ٤٣]

.. أليس إذنه ﷺ للمعنيين بهذه الآية الكريمة نُطقاً خرج من فيه ؟ .. فكيف إذاً يكون هذا النطق سنّةً مُرادّةً من الله تعالى ، في الوقت ذاته الذي يُعاتب الله تعالى نبيه على ذلك .. أي عقلٍ سليم يستطيع تصوّر ذلك ؟ !!! ..

ألم يُقرّ ﷺ بأن يتزوَّج الرجل من امرأة أبيه بعد موت أبيه ، وذلك قبل أن يتزل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٢] ، فما هي الخدمة التي سيقدّمها عبْدُ الله بنِ عمْرِو للسنّة الشريفة في كتابته المزعومة في هذه الرواية الموضوعية ، إن كتب هذا الإقرار للنبي ﷺ ؟ !!! .. وما هي الخدمة التي سيقدّمها عبْدُ الله بنِ عمْرِو للسنّة الشريفة في كتابته المزعومة في هذه الرواية الموضوعية وذلك حينما يكتب إقرار النبي ﷺ بأن يجمع الرجل بين الأختين قبل تحريم ذلك في كتاب

الله تعالى !!!؟ أليست كتابة ذلك هي مخالفة للسنة الشريفة التي هي تفصيل لكليات النصّ القرآني ؟ .. ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ؟ .. وما الفائدة من كتابة كل ما نطق به ﷺ ؟ .. ولماذا لا تُوجد الآن نسخة واحدة مما كتب عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أو رواية واحدة فيها مجرد إشارة إلى أنها منقولة عن صحيفة كتبها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو !!!؟ .. المسألة من أولها إلى آخرها مُلَفَّقة في رواية موضوعة يُدرك حقيقة وضعها كُلُّ من يدرك حقيقة دلالات كتاب الله تعالى وحقيقة السنة الشريفة مُطَّلِعاً على مجمل الروايات التي بين أيدينا ..

وحتى لو سلّمنا - جدلاً - بصحة هذه الرواية ، أليست الكلمتان [] فَنَهْتَنِي قُرَيْشٌ [] في عبارات هذا الحديث [] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابِ [] ، أليست تعنيان أن قريشاً لم تكن تكتب الحديث عن النبي ﷺ ، وإلا لما نهته !!!؟ .. فكيف إذاً يمكن الاستشهاد بهذه الرواية على كتابة الحديث في عصر النبي ﷺ كمبدأ يُخطَبُ به على المنابر لذر الرماد في الأعين ، في الوقت الذي رأينا فيه الكثير من الروايات التي تنهى عن كتابة الحديث عن النبي ﷺ ، دون أن نرى أيّ عبارة - في هذه الروايات - تشير ولو مجرد إشارة إلى أن هذا النهي كان في بداية الدعوة من أجل ألا يختلط الحديث بالقرآن ، وأن هذا النهي انتهت صلاحيته في نهاية الدعوة !!!؟ ..

.. ومع كل ذلك .. أين هو الحديث الموجود بين أيدينا والذي تُشيرُ صياغته اللغوية (ولو مجرد إشارة) إلى أنه كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ ، أو في عصره ، أو حتى في عصر غيره ، وذلك من أيّ صحيفةٍ من الصحف التي يُزعم أنها كُتبت في العصر الأوّل أو حتى في العقود اللاحقة !!!؟ ..

.. نعود فنقول : هل هناك رواية واحدة بين أيدينا يُشار فيها مجرد إشارة إلى أنها نُقلت من الخطبة التي يُقال بأنها كُتبت لأي شاة أو مما كان يكتبه عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أو من غيرهما ؟!!!! ..

.. إذا العبارة المنسوبة إلى الرسول ﷺ في الرواية التي رأيناها **[[اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ]]** ، مُلفقة على الرسول ﷺ ، بمعنى أنه ﷺ لم يسمع بها ، ووضعت لتمرير ما نهي الرسول ﷺ عنه ... فالحديث من أوله إلى آخره موضوع بنية إعطاء عابدي أصنام التاريخ ما يتكلمون عليه لاحقاً (بعد وضعه) للإساءة لمنهج الله تعالى ، ولو وضع برزخ بين أبناء الأمة وبين حقيقة كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) .. مع كل ذلك .. لو طلقنا عقولنا ، ورمينا خلف ظهورنا ، كل الروايات التي تُؤكّد أنّ الحديث لم يكتب بين يدي النبي ﷺ .. لو طلقنا عقولنا وصدقنا أنّ الأحاديث كُتبت بين يدي النبي ﷺ ، وجمعت في صحفٍ معروفة .. ما الضمان أنّها لم تُحرّف ولم تبدل ولم تتمّ الزيادة فيها والنقصان ، عندما جمعت الروايات ووضعت في الصحاح بعد قرون من وفاة النبي ﷺ ؟!!!! .. أليست المسافة الكبيرة بين وفاة النبي ﷺ وبين عصر التدوين ، بما حملت من حروبٍ وصراعاتٍ وتعصّبٍ واستحواذٍ للسلطة ، وقطعٍ لأعناق رجال الجيل الأوّل وما تبعه على أيدي إخوانهم ، أليست هذه المسافة الكبيرة بما حملت من فتنٍ وحروبٍ تكفي لأن يحدث تدليسٌ وافتراءٌ يُنسبُ إلى النبي ﷺ ، من أجل الانتصار لتلك العصبية ؟ ..

.. إنّ المقولة بأنّ النبي ﷺ إنّما نهي عن كتابة الحديث عنه في بداية الدعوة حتى لا يختلط بالقرآن الكريم ، ثم عاد فسمح بكتابة الحديث عنه لاحقاً .. هذه المقولة وُضعت من أجل ذرّ الرماد في الأعين ، وهي استخفافٌ بالعقول ، وتلبيسٌ على الحقيقة ... فهذه المقولة التي يدندن بها عابدو أصنام التاريخ ، تنقضها أيُّ من الحقائق التالية ..

١ - لم ينقطع نزول القرآن الكريم حتى وفاة النبي ﷺ .. وبناءً على حجّتهم الباطلة لا بدّ أن يستمرّ النهي عن كتابة الحديث ما دام النبي ﷺ حيّاً ، لأنّه حسب الحجّة الواهية التي يُقدّمونها لذرّ الرماد في الأعين ، من الممكن أن يختلط الحديث بالقرآن في أيّ وقتٍ من

حياة النبي ﷺ حتى وفاته .. فكيف من الممكن أن يختلط الحديث بالقرآن في بداية الدعوة ، ولا يختلط في نهايتها .. وهل صياغة القرآن الكريم الذي نزل في نهاية الدعوة تختلف عن صياغة القرآن الكريم الذي نزل في بدايتها ؟!!! .. أي عقل يمكنه أن يقبل حجتهم هذه ، وخصوصاً بعد أن يطّلع على الروايات التي ينهى فيها الرسول ﷺ عن كتابة أي شيء عنه سوى القرآن الكريم ؟!!! ..

٢ - نحن نعلم أن صياغة القرآن الكريم معجزة من الله سبحانه وتعالى يتحدثى الإنس والجن أن أتوا بمثلها ، ولا يستطيع بشر الإتيان بمثله ، سواء شخص النبي ﷺ أم غيره .. وهناك آيات عديدة تصف النص القرآني معجزة مستحيلة على المخلوقات .. مع هذه الحقيقة .. أليس زعمهم باختلاط الحديث بالقرآن الكريم هو إساءة لصياغة النص القرآني ، واتهام لها بأنها لا تختلف عن صياغة البشر بحيث يتم الخوف من اختلاطها بصياغة كلام البشر حتى عند كتابة الوحي ذاتهم ؟ ..

فكيف نقول للآخرين انظروا في صياغة النص القرآني كم هو معجز ، وكيف أنه يستحيل على البشر أن يصوغوا نصاً من مثله ، ثم بعد ذلك نقول لهم نهي النبي ﷺ عن كتابة الحديث عنه حتى لا يختلط مع القرآن عند كتابة الوحي ذاتهم ، بمعنى أن كتابة الوحي ذاتهم لا يستطيعون التمييز بين النص القرآني وبين نص الحديث ؟!!! ..

٣ - لو سُمح للصحابة في نهاية الدعوة بكتابة الحديث عن النبي ﷺ كما يُزعم ، لَمَا امتنع الصحابة عن كتابته بعد وفاة النبي ﷺ قروناً من الزمن ، ولَمَا أحرقوا ما كتبه بعضهم .. فليس من المعقول أن يمنعوا ما أقره الرسول ﷺ ..

.. لننظر في الرواية التالية والتي ترد في جامع بيان العلم وفضله ، ونحوه في تقييد العلم ، و

طبقات ابن سعد :

[[أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ،

فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله تعالى فيها شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله تعالى له ، فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم

كتبوا كتباً ، فأكبّوا عليها وتركوا كتابَ الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً
[[..

.. المقولة المنسوبة لعمر بن الخطاب في هذه الرواية [[أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها]] تبيّن بما لا يقبل الشك أن السنن لم تكن مكتوبة آنذاك ..
أليست هذه الرواية دليلاً على أن السنّة لم تكن مكتوبة في عصر عمر بن الخطاب ؟
.. وكلّ ذلك تؤكّده الرواية التالية التي ترد في جامع بيان العلم وفضله (لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي) :

[[أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أراد أن يكتب السنّة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب في الأمصار : من كان عنده شيء فليمحه]] ..

.. ما نراه في هذه الرواية أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة [[أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أراد أن يكتب السنّة]] ، وليس أراد أن يدوّن السنّة ، أو أن يجمع الأوراق المكتوبة ، فالسنّة (كما تقول هذه الروايات) لم تكن مكتوبة أصلاً ولننظر إلى الرواية التالية في تقييد العلم للخطيب البغدادي :

[[أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ، حدثنا عبد الله بن روح المدايني ، حدثنا شبابة ، حدثنا أبو زبر ، حدثنا القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب ، فاستنكرها ، وكرهها ، وقال : ((أيها الناس ، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب ؛ فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين أحد عنده كتاب ، إلا أتاني به ، فأرى فيه رأيي ، قال فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ؛ فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : أمنية كأمنية أهل الكتاب .

أخبرنا عبد الملك بن محمد ، أخبرنا عمر بن محمد الجمحي ، حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن القرشي حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن يحيى بن جعدة

((أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة ، ثم بدا له أن لا يكتبها ؛ ثم كتب في الأمصار : من كان عنده منها شيء فليمححه . واللفظ لحديث سعيد .)) ..

.. العبارة التي نطق بها عمر بن الخطاب : **[[إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب]]** لا شك أنّها تشمل كتب في السنّة الشريفة ، فالعبارة **[[أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنّة ، ثم بدا له أن لا يكتبها]]** ، في السياق التالي ، مع باقي الروايات ، تؤكد أن المعني هو كتابة السنّة ..

وكون هذه الروايات منقطة ، حيث الراوي لم يسمع مباشرة من عمر ، لا يجعلنا نُعرض عن مضمونها ، فعدم كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ ، وفي الأجيال الأولى ، هي حقيقة جليّة تتكامل كلّ الأدلّة في إثباتها ، ونحن في إثباتنا لهذه الحقيقة نملك الكثير من الأدلّة ..

.. وسنرى بإذن الله تعالى في محطة قادمة كيف أنّ الرواية المنقطة (التي يظهر فيها الانقطاع) ، فيها من الصدق ما هو أكثر من الرواية التي يُوهِمنا فيها الراوي أنّه سمع ممن لم يسمع منه ، وذلك حسب تعريفهم هم لأحد وجهي التدليس ، كما ورد تعريفه في كتاب : (مقدّم ابن الصلاح) : **[[أن يروي عن لقيه ما لم يسمع منه ، موهماً أنّه سمعه منه .]]** !!!؟ ..

.. ولو نظرنا في العبارة المنسوبة لعمر بن الخطاب في هذه الرواية **[[ثم كتب في الأمصار : من كان عنده منها شيء فليمححه]]** ، والعبارة المنسوبة إليه **[[ثم كتب في الأمصار : من كان عنده شيء فليمححه]]** .. لرأينا أنّهما تنقضان كلّ المزاعم التي تقول بوصول الحديث إلينا مكتوباً ؟ .. فهل كان عمر بن الخطاب سيفعل ذلك لو أنّ الرسول ﷺ أباح كتابة الحديث عنه كما يزعمون !!!؟ ..

ولو كانت هذه الكتب قد كتبت بين يدي النبي ﷺ كما يفترى عابِدو أصنام التاريخ ، فكيف يفسّرون لنا قول عمر في هذه الروايات **[[إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب]]** !!!؟ .. ألا يعني ذلك أنّ هذه الكتب ظهرت له بعد أن لم تكن ظاهرة ؟ .. ألا

يعني ذلك نفيًا قاطعاً لكونها كُتبت بين يدي النبي ﷺ ؟ .. أم أن عمر بن الخطاب لا يعلم ما يقوله المطبلون والمزمرّون بكتابة الحديث في عصر النبي ؟!!! ..

ثمّ كيف يتمّ الافتراء بأنّ ما حصل بعد قرون هو تدوين الحديث وليس كتابته ؟!!! .. أليست هذه الروايات تنفي نفيًا قاطعاً كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ بأيّ شكل من أشكال الكتابة ؟ .. أم أنّه لا بدّ من تضعيف كلّ هذه الروايات حتى لا يسقط قولهم بكتابة الحديث في عصر النبي ﷺ ؟ ..

.. إنّ منهجنا في البحث هو ما يأمرنا الله تعالى به ، وهو عدم رفع أيّ نصّ خارج دفتي كتاب الله تعالى إلى مستوى اليقين الذي نرى به كتاب الله تعالى ، وذلك عملاً بقوله تعالى ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] ، وفي الوقت ذاته لا نقول كلّ ما ورد في الروايات ليس صحيحاً ، فمعيارنا في الصحّة هو موافقة متنها لكتاب الله تعالى والعقل والمنطق .. وحتى لو حصلت موافقة الرواية لكتاب الله تعالى وللعقل والمنطق ، تبقى هذه الرواية ظنيّة الثبوت ، ولا ترتقي إلى مستوى العلم اليقيني ..

.. ونحن نستشهد بهذه الروايات لأنّ متنها يتوافق مع ماهيّة الحديث كونه مجموعاً من أفواه الرجال ، وكون متنها يتوافق مع أحاديث وردت في البخاري وفي سنن أبي داود وفي مسند أحمد وغيرهم ، تؤكّد أنّ النبي ﷺ لم يترك إلّا ما بين دفتي الكتاب ، كما سنرى إن شاء الله تعالى ..

.. وكنا قد رأينا في المحطّة السابقة كيف أنّهم قالوا : **[[فأما ما رواه بعضهم أنه قال : إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه ، فإنه حديث باطل لا أصل له .]]** .. فهذا الحديث الموافق لكتاب الله تعالى وللعقل والمنطق يقولون عنه بأنّه باطل لا أصل له ، لأنّه يهدم ما يذهبون إليه .. وفي ذلك نرى كيف أنّ العصبية تغلب على المنهج العقلي العلمي الذي يأمر الله تعالى به في جعل كتاب الله تعالى معياراً لما هو دونه ..

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ

دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٧]

.. ونقول : ما هو المعيار الذي يجعل مَنْ يُضَعِّفُ روايةً ما (أو يقوِّبها) انتصاراً لعصبيّة ما ، أكثرَ صدقاً من روايتها ؟!!! .. فهل سمع من يُضَعِّفُ هذه الروايات (أو يقوِّبها) ، هل سمع بقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] ؟ ..

إذا كان النبي ﷺ ذاته لم يكن يعلم الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة الذين عاشوا معه في ذات المكان والزمان ، فكيف إذاً لرجال أن يُضَعِّفُوا (أو يُقَوِّبُوا) رجالاً ورواياتٍ بحيث يكون رأيهم في ذلك مطلقاً ينتج عنه إدخال نصوصٍ إلى المقدّس أو إخراج نصوصٍ من المقدّس ؟!!! .. المسألة كلّها مبنية - كما سنرى إن شاء الله تعالى - على تزكية رجال لرجال ، وهي مسألة من أوّلها إلى آخرها ظنيّة الثبوت ، ولا ترتقي أبداً إلى مستوى العلم ..

.. إن معيارنا لمثل هكذا روايات لم ترد في كتب الصحاح كما يصنّفون ، هو موافقتها لدلالات كتاب الله تعالى وللعقل والمنطق ، شأنها شأن ما ورد في الصحاح .. ونحن لا نرفع أيّ رواية مهما كانت وفي أيّ صحيح كانت ، لا نرفعها إلى مستوى اليقين المطلق الذي نرى به كتاب الله تعالى كما يصنعون ، وبالمقابل قد نرى في رواية ضعيفة حسب معاييرهم ، قد نرى فيها الصحة إن كانت موافقة لكتاب الله تعالى وللعقل والمنطق .. فالرواية هي في النهاية رواية ، ولا يمكنها أبداً أن ترتفع إلى مستوى اليقين ..

.. ونحن نأتي بالروايات ليس على أنّها مقدّماتٌ مطلقة ، فبرهاننا هو من كتاب الله تعالى ، ولكننا نأتي بمحمل الروايات لتبيان أنّها تحوي المتناقضات ، وبالتالي كيف أنّهم لا يستطيعون الاعتماد على مجملها في إثبات ما يريدون ، وهذا يؤكّد أنّ تلك الروايات لم تكن مكتوبة بين يديه ﷺ ، فلو كانت مكتوبة بين يديه ﷺ لما رأينا ما نراه من تناقض ..

.. لننظر إلى الروايتين التاليتين :

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ
إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتَبُ

سنن أبي داود : (٣١٦٢) :

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ حَدَّثَنَا كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
حَنْظَلٍ قَالَ دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثِ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَهُ فَقَالَ لَهُ
زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ

هذه الروايات شأنها شأن غيرها من الروايات الأخرى ، لا بد من النظر إليها من منظار كلية
الروايات وبنويتها .. وإن أراد بعضهم تضعيفها عبر تضعيف بعض رواها ، فإن ذلك لا يختلف
كثيراً عن تقوية الرواة الآخرين ، وذلك في معيار قوله تعالى ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم : ٣٢] ، فالمضعف والمقوي ليسا معصومين ، ولربما يكون المضعف
أضعف ممن ضعفه ..

فعلى سبيل المثال وفي الحديث الأخير في سنن أبي داود ، إن قال قائل كثير بن زيد ضعيف
، فإن هذا القول هو - في النهاية - رأي بشري لا يصل إلى مرتبة العلم .. وتضعيف راوي في
رواية لا يقتضي نقض تلك الرواية إن كانت متوافقة مع مجمل الروايات ومع كتاب الله تعالى
وثواب العقل والمنطق .. وبالمقابل فإن تقوية راوي في رواية لا يجعلها صحيحة إن كانت
متناقضة مع كتاب الله تعالى ومع مجمل الروايات وثواب العقل والمنطق ..

.. نحن نقول : تصنيف البشر إلى شياطين لا يعرفون الصدق ولا يمكنهم أن يكونوا
صادقين ولا مرة في حياتهم ، أو إلى ملائكة لا تعرف الكذب والنسيان والتعصب ، هذا
كله تنطع وإعراض عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ
يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا
﴿ [النساء : ٤٩ - ٥٠] ، وهذا كله تحكيمات بشرية ليست مجردة عن الانتماءات
المختلفة .. فهذه كلها روايات ظنية الثبوت ، سواء الضعيف منها - حسب معاييرهم -

والقوي ، ولكننا نأتي بها كإشارة تتكامل مع باقي الأدلة الدامعة - كما سنرى - إن شاء الله تعالى ..

.. إذا .. مع النص الذي رأيناه في سنن أبي داود : **[دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلْنَا يَكْتُبُهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ]** ، كيف يُزعم أن النبي ﷺ أباح كتابة الحديث عنه في نهاية الدعوة !!!؟ .. وكيف يفترون على الناس فيقولون الحديث كُتب بين يدي النبي ﷺ وما تمّ لاحقاً هو تدوينه وجمعه في كُتب !!!؟ .. وكيف يُغمضون أعينهم عن هذه الروايات الجليّة بامتناع الصحابة بعد وفاة النبي عن كتابة الحديث !!!؟ .. ولماذا وضع أبو داود هذه الرواية في سننه إن كانت كتابة الحديث في عصر النبي أمراً بديهياً لا شكّ فيه كما يطّبلون ويزججرون !!!؟ .. أم أنّ زيد بن ثابت وأبا داود لم يعلما بما يطّبل به الآن من يذهبون إلى كتابة الحديث بين يدي النبي ﷺ !!!؟ ..

.. بناءً على كل ذلك ، كيف بنا أن نفهم دلالات الحديث الموضوع التالي :

البخاري (١١٠) :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو قَالَ أَخْبَرَنِي وَهْبُ بْنُ مُنْبِهِ عَنْ أَخِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

.. كيف كان عبد الله بن عمر يكتب الحديث عن الرسول ﷺ ، في الوقت الذي أمر فيه الرسول ﷺ بأن لا يكتب الحديث عنه كما رأينا : **[دَخَلَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ حَدِيثٍ فَأَمَرَ إِنْ سَأَلْنَا يَكْتُبُهُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَكْتُبَ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ]** !!!؟ .. كيف كان عبد الله بن عمر يكتب الحديث عن الرسول ﷺ ، وعمر وغيره يحرق - بعد موت النبي ﷺ - ما كتبه بعضهم كما رأينا !!!!!!؟ ..

ثمَّ كيف يكون القول المنسوب لأبي هريرة في البخاري : **[[مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ]]** ، كيف يكون صحيحاً وأبو هريرة - كما رأينا - في الحديث كان : **[[لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتُبُ]]** ..

الدارمي (٤٧٢) :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا كَثِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ **إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتُبُ**

.. إن كانت كتابة الحديث عن الرسول ﷺ ممكنة كما يُفترى على لسان أبي هريرة حيث كان عبد الله بن عمر يكتب كما يُزعم ، فلماذا لا يُكْتُبُ أبو هريرة الحديث عن الرسول ﷺ !!!؟ ..

العبارة **[[لَا يَكْتُبُ]]** قد يجدوا لها تخریجاً بآته كان لا يجيد القراءة والكتابة ، ولكن لماذا كان أبو هريرة **[[وَلَا يُكْتُبُ]]** ، لماذا لا يُكْتُبُ إن كانت كتابة الحديث عن الرسول ﷺ هي بأمر منه !!!؟ .. بل كيف وصلتنا أحاديث أبي هريرة مكتوبةً - كما يزعمون - في الوقت الذي كان فيه أبو هريرة **[[لَا يَكْتُبُ وَلَا يُكْتُبُ]]** !!!؟ .. ولو فرضنا جدلاً ومجاراتاً لأوهام من لا يريدون معرفة الحقيقة ، لو فرضنا جدلاً أن ابن عمر - أو غيره - كان يكتب الحديث عن النبي ﷺ ، فلماذا لا يكون ما كتبه قد حُرِّقَ مع الذي حرقه عمر وغيره !!!؟ ..

.. طبعاً الرواية ملفقة من أولها إلى آخرها ، شأنها بذلك شأن القول الملقق على لسان عبد الله بن عمرو بأن النبي ﷺ قال له : **[[اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ]]** .. والاستشهاد بمثل هاتين الروايتين مع العلم بالأحاديث الأخرى التي تبين بشكل لا لبس فيه أن الحديث لم يُكْتُبْ بين يدي الرسول ﷺ ، وأن عمر وغيره حرق ما كتبه بعضهم كما يرد في بعض الروايات ، هذا الاستشهاد هو ابتعادٌ عن منهج البحث العلمي ، وذُرٌّ للرماد في الأعين ، ودليلٌ على أن أصحاب المنهج التراثي الجمعي لا يسيرون على أيِّ

منهج بحث سليم .. فالروايات التي يحتجّون بها هي في معيار المنطق والبحث العلمي السليم ، هي أضعف من الروايات التي يضعفونها ..

٤ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنّ الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لوصلنا - نصوصاً - بالتواتر ، ولَمَّا اختلفت الأمة لاحقاً في تلك الروايات ، ولَمَّا كان هناك اختلافٌ لدرجة التناقض بين روايات الحدث الواحد ، كما سنرى لاحقاً إن شاء الله تعالى .. فوصولُ معظم الحديث إلى عصرِ التدوين كروايات آحاد يكفي للقول بأنّه لم يُكتب في عصر النبي ﷺ ..

.. وهنا نتوجه للذين يزعمون أنّ الحديث كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ كالقرآن الكريم .. نتوجه إليهم بالسؤال التالي : لماذا وصلت إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى نصوصاً موثقةً رسماً ، دون أن تُسبقَ بالكلمات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ، قال فلان ؟!!! .. وفي الوقت ذاته لماذا لم تصل إلينا روايات الأحاديث إلاّ مسبوقاً بهذه الكلمات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ؟!!! .. ألا يعني ذلك أنّ الآلية التي وصلت من خلالها إلينا آياتُ كتابِ الله تعالى ، وهي الكتابةُ بين يدي الرسول ﷺ وبإشرافه كما هو في اللوح المحفوظ ، تختلف عن الآلية التي وصلت إلينا بها رواياتُ الأحاديث ، وهي جمع تلك الروايات من أفواه الرجال بعد قرون من موته ﷺ ..

.. إنّ ما نراه في روايات الأحاديث التي بين أيدينا أنّها تبدأ بالعبارات : حدثنا ، سمعنا ، أخبرنا ، قال فلان ، سمع من فلان في الوقت الذي لا نجدُ فيه روايةً تبدأً بالعبارة : هذا ممّا نُقلَ من صحيفة كُتبت بين يدي الرسول ﷺ .. وكلُّ ذلك ينفي كتابتها بين يدي الرسول ﷺ ، ويؤكّدُ بشكلٍ لا لبس فيه أنّها أخذت من الأفواه عن طريق السماع ..

٥ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنّ الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لَمَّا كان هناك ما يُسمّى بعلم الحديث ، ولَمَّا كان له أيُّ معنى ، فعلمُ الحديث هو القواعد والطرق التي أُتبعَت في جمع الحديث من أفواه الناس وليس من صحفٍ مكتوبةٍ بين أيديهم ، وذلك للتمييز بين الصحيح منها وبين الموضوع أو الضعيف ، وهذا يؤكّدُ أنّ الحديث وصل إلينا

من أفواه الناس ، وأنه لم يصل إلينا عبرَ نصوصٍ كُتبت - كالقرآن الكريم - بين يدي الرسول ﷺ ..

.. ما قيمة ما يُسمى بعلم الجرح والتعديل إن كانت الروايات مكتوبة بين يدي الرسول ﷺ !!!؟ .. ولماذا كان معظمُ اهتمام علوم الحديث بالسند دون المتن إن كان الحديث قد كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ !!!؟ ..

٦ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتبَ في عصر الرسول ﷺ ، لتناقضَ ذلك مع حقيقة السنة الشريفة ، كونها تبيناً لما نزلهُ الله تعالى في كتابه الكريم .. يقول تعالى ..

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [

النحل : ٤٤]

.. فكتابة كل ما يقوله ويفعله ﷺ ، يُحدثُ خلطاً بين ما فعله ﷺ كسنة ، وبين ما فعله كني وكشخص .. وقد بيّنا هذه الحقيقة بشكلٍ جليّ .. وبالتالي فالزعم بأن الحديث كُتبَ بين يدي الرسول ﷺ ، ناتجٌ عن جهلٍ بحقيقة السنة الشريفة ، وعن جهلٍ بعدم التمييز بين صفتي الرسول والنبي في شخصه ﷺ ..

٧ - لو كان زعمهم صحيحاً بأن الحديث كُتبَ في عصر الرسول ﷺ ، لتعارض ذلك مع كون حفظ الله تعالى مقصوداً على حفظ النص القرآني ، دون أي نصٍ آخر ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ..

.. وكنا قد بيّنا أن السنة الشريفة وُصفت بالذكر : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وأنها وُصفت متعلقةً

بصيغة الإنزال ، وليس بصيغة التثنية .. فالعبارة القرآنية ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾

واضحةٌ جليةٌ في وصف السنة متعلقةً بصيغة الإنزال ، والعبارة القرآنية ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ واضحةٌ جليةٌ في وصف القرآن الكريم متعلقاً بصيغة التثنية ..

.. وقلنا إنَّ النصَّ القرآنيَّ هو الوحيد الذي نزلَهُ اللهُ تعالى من عنده (بصيغة التثنية من الفعل نَزَلَ) ، في حين يشترك مع باقي الكتب السماوية بصفة الإنزال (من الفعل أنزل) .. وبيِّنا أنَّ قولَ تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، يصفُ لنا حفظَ اللهُ تعالى للقرآن الكريم حصراً ، فكلمةُ الذكر هنا تعني القرآن الكريم حصراً ، بدليل تعلقها بصيغة التثنية وليس الإنزال .. وبيِّنا أنَّ حفظَ اللهُ تعالى للسنة الشريفة هو من باب كونها محتواةً في النصِّ القرآني الذي تكفَّل اللهُ بحفظه .. فالسنة الشريفة المحفوظة هي المحتواة في النصِّ القرآني المُنزَّل من عند الله تعالى ، والذي تكفَّل اللهُ تعالى بحفظه ، وليست نصّاً مستقلاً عن النصِّ القرآني كما يُسوَّقُ عابِدو أصنام التاريخ ..

.. والله تعالى يُحدِّثنا من رفعِ أيِّ نصٍّ غيرِ النصِّ القرآني إلى درجة الإيمان الكامل كإيماننا بالنصِّ القرآني : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦] .. فالعبارة القرآنية ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ تعني النصَّ القرآنيَّ دون غيره ، والعبارة القرآنية ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ تُبيِّنُ لمن يملكُ إرادةً فهمٍ للحقيقة ، أنَّه لا يجوزُ لنا أن نُؤمنَ بأيِّ نصٍّ غيرِ النصِّ القرآني ، إيماناً كاملاً موازياً لإيماننا بالنصِّ القرآني ..

.. ومما لا شكَّ فيه أنَّ نصوصَ رواياتِ الأحاديث تختلفُ عن النصِّ القرآني .. ومما لا شكَّ فيه أنَّ نصوصَ الروايات أتتْنا بأدوات تاريخية لا تخلو من الأخطاء والأهواء كما سنرى لاحقاً إن شاء اللهُ تعالى .. كلُّ ذلك يؤكِّدُ أنَّ النصَّ الوحيد الذي تكفَّل اللهُ تعالى بحفظه هو النصُّ القرآنيُّ حصراً .. وبالتالي لا يمكن أن يكون نصُّ الحديث قد كُتِبَ بأمرٍ من الله تعالى وتحت إشرافه ﷺ ، كما يُلبِّسون على الحقيقة ..

٨ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنَّ الحديثَ كُتِبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، وأنَّ هني الرسول ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه إنما كان في بداية الدعوة ، ثم عاد ﷺ ونسخ ذلك بإباحة هذه الكتابة في نهاية الدعوة .. لو كان ذلك صحيحاً لتعارض مع الظروف الصعبة التي مرَّ بها ﷺ في بداية الدعوة في مكة ، حيث لم تكن كتابة الأحاديث في تلك الظروف

الصعبة موضع تفكيرٍ من أحد .. ولو فرضنا - جدلاً - أن هناك نسخاً في هذا الأمر ، لكان النهي نسخاً للإباحة ، وليس العكس ، وذلك بدليل أن ما عليه جل الصحابة - بعد وفاة النبي ﷺ - هو عدم الكتابة وحرق ما كتبه بعضهم ..

.. وهنا نريد أن نسأل الذين يُلبسون على الناس بأن أمر النبي ﷺ بعدم كتابة الحديث عنه إنما كان في بداية الدعوة ، وأنه ﷺ عاد وأباح الكتابة بعد أن استقرت الأمور ، نقول لهم : هل أسلم أبو هريرة في بداية الدعوة أم في نهايتها وبعد أن استقرت الأمور ؟ .. وبناء على ذلك ماذا تقولون في الرواية التالية :

أحمد (١٠٦٧٠) :

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ مَا هَذَا تَكْتُبُونَ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ مِنْكَ فَقَالَ أَكْتُابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتُابُ غَيْرِ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلِّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ قُلْنَا أَي رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْكَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُنْعَمًا فَلْيَنْبَوُا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ حَدَّثْتَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ فَإِنَّكُمْ لَأَ تَحَدَّثُوا عَنْهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ أَعْجَبَ مِنْهُ

وهنا نعود لنقول : حكاية تضعيف بعض الرواة من قبل بشر آخرين ، هو ليس كلاماً مطلقاً ، وذلك مبنيٌّ - كما سنرى إن شاء الله تعالى في محطة قادمة - على مقدمات بشرية ليست خالية من الأهواء والأخطاء .. وقد يحلو لبعضهم تضعيف هكذا روايات عبر تضعيف بعض رواياتهم ، وذلك هروباً من استحقاق الحقائق الجلية التي تحملها هذه الروايات ... نحن نأتي بروايات من ذات المنظومة الفكرية التي يحتج بها الآخرون على مسائل تنقضها هذه الروايات ، ولا نأتي بها من جيوبنا أو من كتب المذاهب الأخرى والطوائف الأخرى ..

.. ونعود فنقول : تضعيف رجلٍ لراوٍ وسط رواة في رواية ما ، لا يعني أبداً نقض هذه الرواية ، إلا إن كان الرواة اللاحقين للراوي جهلة ينقلون عن كاذب دون أن يعلموا ذلك ، وفي هذه الحالة لماذا يأخذ منهم مخرج الرواية ؟!!! .. ولماذا مُخرج الرواية يضع في مسنده رواية إن كان متيقناً من عدم صحتها ؟!!! .. نعود فنقول : الروايات كُلُّها ودون استثناء هي ظنيّة الثبوت ، وتؤخذ بالمقاربة ، ولا يمكنها أن ترتقي إلى مستوى العلم واليقين الذي عليه كتاب الله تعالى ..

.. في هذه الرواية ، أبو هريرة يصف موقفاً مع النبي ﷺ ، وبالتالي كان أبو هريرة مسلماً ، ومعلوم أن أبا هريرة أسلم في نهاية الدعوة بعد أن استقرت الأمور وليس في بدايتها ، ويقول في هذه الرواية : إن النبي ﷺ قال محتجاً على كتابة الحديث عنه : **[[أَكْتَابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتَابُ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَّصُوهُ قَالَ فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ]]** ؟!!!!!! .. فكيف إذا يتم التلبس على الناس بأن نهي النبي ﷺ عن كتابة الحديث عنه إنما كان في بداية الدعوة ، وأنه عاد عن هذا النهي بعد أن استقرت الأمور ؟!!!!!! .. ألا يبين هذا الحديث أن نهي النبي ﷺ عن كتابة الحديث عنه استمر إلى ما بعد إسلام أبي هريرة ، وأنه تم حرق ما كُتب في نهاية الدعوة بأمر من الرسول ﷺ ذاته ؟!!!!!! .. أم أن أبا هريرة كان يسمع هدي النبي ﷺ ويكتبه قبل إسلامه ؟!!!!!! ..

.. ثم كيف نُوفِّق بين القول المنسوب لأبي هريرة في رواية أخرى يستشهدون بها على كتابة الحديث كما رأينا **[[مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ]]** من جهة ، وبين القول الذي ينسبه أبو هريرة ذاته إلى النبي ﷺ بأنه قال : **[[أَكْتَابُ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ فَقُلْنَا مَا نَسْمَعُ فَقَالَ اكْتُبُوا كِتَابَ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَكْتَابُ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ أَمْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ أَوْ خَلَّصُوهُ]]** وفي الوقت الذي يقول فيه أبو هريرة **[[فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ]]** من جهة أخرى ؟!!!!!! .. كيف ؟!!!!!! .. أم أن أبا هريرة في

هذه الرواية هو رجل آخر غير أبي هريرة في الرواية الأخرى ؟!!!!!! .. أم علينا أن نُطلق عقولنا ونغمض أعيننا عن هذه الحقائق كي لا نُتهم بإنكار السنّة الشريفة ؟!!! .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ ..

٩ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنّ الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لوصلتنا جميعُ خطبه ﷺ مسطورةً من صحفٍ كُتبت بين يديه ، أو على الأقل لوصلنا معظمها .. فكتابة حُطْبِ الجمعةِ أولى بالكتابة من تسطيرِ أحداثٍ جزئيةٍ محدودة .. لو كان زعمهم صحيحاً ، فأين هي النصوص التي تُسطرُّ الكثير من خطب الجمعة التي ألقاها ﷺ في المدينة تسطيراً منقولاً من صحفٍ كُتبت بين يديّ الرسول ﷺ ؟!!! ..

١٠ - لو كان زعمهم صحيحاً بأنّ الحديث كُتبَ في عصرِ الرسول ﷺ ، لتركزت شروط الصحة على المتن وليس على السند .. فكتابة الحديث عبر نصوصٍ مدونةٍ بين يديه ﷺ ، تجعلُ من مسألة السندِ مسألة ليست ذات قيمة .. ولكن ما نراه أنّ شروط الصحة عندهم تتركز على السند دون المتن ، وهذا يؤكدُ أنّ الحديث جُمعَ من أفواه الرجال ، وليس من نصوصٍ مكتوبةٍ بين يدي الرسول ﷺ ..

.. نعم .. لقد توفي النبي ﷺ ولم يُكتب عنه الحديثُ أبداً ... والحديث التالي يُبينُ

هذه الحقيقة بشكلٍ جلي ..

البخاري (٤٦٣١) :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُهَيْبَانُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ

.. كيف يُعرضون عن الدلالات الواضحة وضوح الشمس في وسط النهار في هذا

الحديث : [] قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ أَتَرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ

قَالَ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ !!؟ ..
 أم أنهم كانوا موجودين حينما سئل ابن عباس ومحمد بن الحنفية السؤال : [] أَتَرَكَ
 النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَيْءٍ [] ، ويعلمون أكثر منهما عن حقيقة هذه المسألة
 !!؟ .. أم أنهم سيتنكرون لدلالات هذه الرواية التي تُفسد عليهم منهجهم التراثي
 الصنمي !!؟ .. نترك الإجابة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ ..
 ولننظر في الحديثين التاليين ..

البخاري (٦٣٩٤) :

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ قَالَ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ قَالَ
 سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ
 وَقَالَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي
 الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ
 وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

البخاري (٦٤٠٤) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ أَنَّ عَامِرًا حَدَّثَهُمْ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ
 قَالَ قُلْتُ لِعَلِيِّ ح حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ حَدَّثَنَا مُطَرِّفٌ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ
 يُحَدِّثُ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ
 فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَرَّةً مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ فَقَالَ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا
 عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قُلْتُ وَمَا فِي
 الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

.. ومهما اخترعوا من تخريجاتٍ يأتون بها من جيوبهم ، لا يستطيعون أن يبنوا
 تأويلاتٍ على العبارة الواردة في هذين الحديثين : [] وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ [] ، لأن ما في

هذه الصحيفة تُبينه العبارات الواردة في هذين الحديثين : **[[قُلْتُ وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ وَفِكَاكَ الْأَسِيرِ وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ]]** ..

.. ولا يستطيعون أن يبنوا - أيضاً - تأويلاتٍ على الحديث التالي ، فالعبارة الواردة

فيه : **[[وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ]]** ، يُبينها متن الحديث ذاته :

البخاري (٢٩٣٦) :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا وَكَيْعٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَنَا عَلِيُّ فَقَالَ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرُوهُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ فَقَالَ فِيهَا الْجِرَاحَاتُ وَأَسْنَانُ الْإِبِلِ وَالْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى كَذَا فَمَنْ أَحَدَّثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى فِيهَا مُحَدِّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ .. كيف يزعمون أن الحديث كُتِبَ بين يدي الرسول ﷺ ، في الوقت الذي يقرؤون فيه الحديثين التاليين ..

أحمد (١٨١٠) :

حَدَّثَنَا سُفْيَانٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ رَفِيعٍ قَالَ دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَادُ بْنُ مَعْقِلٍ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَا بَيْنَ هَذَيْنِ اللَّوْحَيْنِ وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ وَكَانَ الْمُخْتَارُ يَقُولُ الْوَحْيُ

أحمد (٦٦٨٦) :

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ يَقُولُ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا كَالْمُودَعِ فَقَالَ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ أَنَا مُحَمَّدُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ثَلَاثًا وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي أُوتِيَتْ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ وَعَلِمْتُ كَمْ حَزَنَةُ النَّارِ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ وَتُجُوزُ بِي

وَعُوفِيَتْ وَعُوفِيَتْ أُمَّتِي فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ
أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ

.. نهاية الحديث - كما نرى - نص يُنسبُ إلى الرسول ﷺ هو : **[[فَاسْمَعُوا
وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ]]**
، وهذا النص ينفي وجود نص آخر مع نص القرآن الكريم ، فالرسول ﷺ لم يقل : **[[
فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ** الذي بين
أيديكم **أَحِلُّوا حَلَالَهُمَا وَحَرَّمُوا حَرَامَهُمَا]]** .. إنما يقول : **[[فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا
حَلَالَهُ وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ]]** ..

.. لننظر في الحديث التالي :

أبو داود (٣١٦٣) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ عَنِ الْحَدَّاءِ عَنِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنِ أَبِي
سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ مَا كُنَّا نَكْتُبُ غَيْرَ التَّشْهَدِ وَالْقُرْآنِ

.. إذا .. مجمل هذه الأحاديث يؤكد أن ما كان يكتب في عصر النبي ﷺ هو النص
القرآني حصراً .. وحتى لو فرضنا جدلاً صحة زعمهم بوجود صحف كتب فيها
الحديث بين يدي الرسول ﷺ ، فإن هذه الصحف المزعومة لا قيمة لها في عملية التدوين
بعد قرون ، بدليل عدم وجود رواية منقولة من أي من تلك الصحف ... وما هو الضمان
أنها لم تحرف ولم تبدل ولم تتم الزيادة فيها والنقصان ، عندما جمعت الروايات بعد
قرون من وفاة النبي ﷺ !!!؟ .. أليست المسافة الكبيرة بين وفاة النبي ﷺ وبين عصر
التدوين ، وما حملت من حروب وصراعات وتعصب واستحواذ للسلطة ، أليست تكفي
لأن يحدث تدليس وافتراء ينسب إلى الرسول ﷺ ، من أجل الانتصار لتلك العصبية ..

.. من لم يدرك أن جعل الروايات المكذوبة على لسان الرسول ﷺ سنة تُفرض على
منهج الله تعالى ، من لم يدرك أن هذا الجعل هو كفرٌ بجوهر منهج الله تعالى ، ولا يختلف
عن تحريف ما حُرف في الرسائل السابقة ، سوى أن الله تعالى قد حفظ النص القرآني

من التحريف ، من لم يدرك ذلك فهو أعمى البصيرة وجاحدٌ بآيات الله تعالى ولقائه ،
ومن المعنيين بقوله تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ
يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥]

.. ونحن حينما نستشهد ببعض الروايات على صحة ما نذهب إليه ، فإنَّ استشهدنا
- كما نرى - ليس انتقائياً ، فنحن نتكئ في برهاننا على كتاب الله تعالى ، وهذه
الروايات تأخذ مصداقيتها من موافقتها لكتاب الله تعالى .. ما قدّمناه من برهانٍ قرآنيٍّ
يكفي لإثبات صحة ما نذهب إليه .. لكنَّ الروايات التي تُوافق دلالات كتاب الله تعالى
نستشهد بها لنثبت أنَّها تناقضُ رواياتٍ أُخرى يستشهدُ بها الآخرون ، وهذه الروايات
الأخرى ليست صحيحة بسبب أنَّها تناقضُ كتاب الله تعالى ، وليس بسبب أنَّها لا تُخدمُ
ما نذهب إليه كما يتوهم التائهون ، فمعيارُ صدقِ الروايةِ عندنا هو موافقتها لكتاب الله
تعالى .. وأعتقدُ أنه لا يوجدُ مسلمٌ صادقٌ بإسلامه لا يُريدُ كتابَ الله تعالى معياراً
للروايات ..

.. إنَّ الأحاديثَ التي تُثبتُ أنَّ الحديثَ لم يُكتبَ بينَ يديِّ الرسول ﷺ كثيرة ، ولا
داعي لذكرها في هذا السياق ، وقد ذكرنا جزءاً منها .. والحقائقُ القرآنيَّةُ التي تُثبتُ أنَّ
القرآنَ الكريمَ كُتِبَ بينَ يديِّ الرسول ﷺ وبأمرٍ مباشرٍ منه وكما هي صورته في اللوح
المحفوظ ، هذه الحقائقُ كثيرةٌ وقد بيّنا جزءاً منها ..